

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

تتميم الاستدلال البرهاني تجاه النزغ الشيطاني

لأزلنا نتحاوّر حول آية النزغ الشيطاني، حيث:

1. إنه تعالى قد ختم الآية معللاً قائلاً: «إنه سميع عليم» فيُعدّ قرينة أخرى على معرفته تعالى بنزغ من جانب الشيطان على المعاندين و الجاهلين الهادمين لأمنيات النبي و أهدافه، فلا يرتبط التعليل ب «فاستعذ بالله» إذ لا يتلائم بل يرتبط بعبارة «من الشيطان نزغ» [1].
2. فلو عارضتنا رواية دالة على «وسوسة المعصوم» لتوجّب تبريرها بشكل مّا أو نبذها تماماً، نظراً للعصمة المطلقة العقلية، و للآيات المحكمات السالفة، و للقوة القدسية - روح القدس - التي يمتلكونها [2] فكما أنّ لا يخطر ببالنا أبداً أن نخرج أمام الناس بحالة عريانية و لا يطرق أذهاننا أيضاً أن نتذوّق الفذارات بتاتاً، بحيث لا نوسوس بهذه الأفاعيل، فما بالكم بساحة المعصوم النورانية - قبال ظلمة الوسوسة - حيث قد صرّحت الروايات أنهم دوماً بمحضر الله تعالى حتّى أثناء منامهم، فهذه فضيلة إلهية تكوينية تماماً بحدّ لا تخضع للتخصيص [3] - كما أسلفنا مبسّطاً - فمن هذا المنطلق قد تجاهر تعالى قائلاً: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان و كفى برّبك وكيلاً» [4] و ممّا يدعم تفكيرنا تجاه معنى «النزغ» هي مقالة «تفسير أطيب البيان في تفسير القرآن» للسيد عبد الحسين الطيّب (١٣٧٠ ق) - بالفارسية - [5].
3. و في هذا النسق أيضاً قد وردت رواية لم تنسب النزغ إلى تفكير النبي أساساً، فهي كالتالي: «قال ابن زبد: لما نزلت هذه الآية (اعرض عن الجاهلين) قال النبي صلى الله عليه وآله: كيف يا رب الغضب؟ فنزل قوله: وإما ينزغنك من الشيطان نزغ» [6] فقد كان الغضب يشتعل من قبل الجهلة و المردة كي يثيروا العداوة و المقتة، فبالتالي لا يرتبط النزغ بنفس النبي الباطنية إطلاقاً.
4. و في هذه الحلبة أيضاً قد استذكر فخر الرازي رواية أخرى قائلاً: «وروى الحاكم بسنده عن سليمان بن صرد قال: «استبّ رجلان عند النبي (صلى الله عليه وآله و شتّم بعضهما) فأشتد غضب أحدهما فقال النبي: إني لأعلم كلمة لو قالها (الغاضب) لذهب عنه الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل: أمجنون تراني؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله» [7] فقد استبان شأن نزول الآية و أبعادها أيضاً حيث إنّ الغضب قد اعتراهم من الخارج نتيجة النزغ و الإفساد بين اثنين - كما أمضينا معناه - فبالتالي قد أصاب الغير، لا نفس رسول الله.
5. و في هذا الاتجاه أيضاً لو تدبرنا في الآية التالية: «إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إنّ في صدورهم إلا كبراً ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنّهُ هو السميع البصير» [8] لو جدناها تُناهز آيتنا المبحوثة، فإنّه تعالى يأمر بالاستعاذة من «الكبر العارض عليهم المانع عن تقبل الحق» حيث قد عرض على قلوب المجادلين الجاهلين، لا على إرادة النبي و أفكاره.

6. وَاَمَّا الرَّوَايَةُ التَّالِيَةُ: «وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ثُمَّ قَالَ: وَإِمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ، قَالَ: إِنْ عَرَضَ فِي قَلْبِكَ مِنْهُ شَيْءٌ وَ سَوْسَةٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا – فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، قَالَ: وَإِذَا ذَكَرَهُمُ الشَّيْطَانُ وَ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْجِنِّ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ...» [9] فلو سلّمنا انتساب الكتاب إلى عليّ بن إبراهيم و تماميّة أسانيده، و لكن لا تبدو الإجابة صادرة عن فم المعصوم عليه السّلام بل المُستظهر هو أنّ صاحب الكتاب بقلمه قد فسّرها.

[1] و لكن يبدو جلياً أنّه خلاف الظّهور فإنّ فقرة «سميع بصير» تعليل للاستعاذة تماماً، و لا يحدّش مراد الأستاذ المعظم أيضاً لأنّه تعالى سيّنسخ و يمسح إلقات الشّيطان و نزغاته الواردة على الكفّار و الجاهلين و المنافقين ببركة الاستعاذة.

[2] بل و في هذه المسيرة الحسّاسة قد صرّحت بعض الروايات بانعدام السّهو و شتّى الموانع كالوسوسة و... ببركة روح القدس حيث قد ورد خبر مفضل ابن عمر المروي في بصائر الدرجات الحديث ٣ قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض و هو في بيته مرخى عليه ستره، فقال: يا مفضل ان الله تبارك و تعالى جعل للنبي (ص) خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب و درج، و روح القوة فيه نهض و جاهد و روح الشهوة فيه أكل و شرب و أتى النساء من الحلال، و روح الإيمان فيه أمر و عدل، و روح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبي (ص) انتقل روح القدس فصار في الإمام عليه السلام، و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يسهو، و الأربعة الأرواح تنام و تلهو و تغفل و تسهو، و روح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض و غربها و برها و بحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الإمام عليه السلام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم و ما دون العرش».

[3] بأن يتصوّر معتوّه أنّ الله تعالى قد أذهب عنهم مطلق الرّجس و الظّلمة و سلطان الشّيطان سوى في مورد الوسوسة و النّزغ، فهذه مقالة تُضحك التّكلى حقيقةً، و قد أكّد الأستاذ المبجل مسبقاً بأنّ الدّليل العقليّ الذي قد برهن لنا «عصمتهم» لا يخضع للتّخصيص نهائياً حتّى بمورد واحد – في نوم النبيّ – إذ قد استبان بل قد تسالم الأعلام بأنّ الأدلة العقليّة لا تستقبل الاستثناء، فلو افترضنا – جدلاً – استثناءً واحداً لانهارت أركان العصمة بأسرها إذ نقيض الموجبة الكلّيّة هي السالبة الجزئيّة.

[4] سورة الإسراء الآية 65.

[5] حيث قد تحدّث بالفارسيّة قائلاً: «وَأَمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ مفسرين نوعاً تفسير كردند بوساوس شيطان و اين معنى غلط صرف است زیرا شيطان به قلب مطهر او راه ندارد و الله العالم اينكه مراد وساوس شيطان است به قلوب كفار و مشركين در اذيت و اهانت بأن حضرت كه اذيت و آزارها انسان را از جا ميكند چنانچه در آيات قبل هم داشتيم كه دستور صبر و بردبارى و دفع بالتى هي احسن داده شده، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ پس پناه ده خود را بخداوند متعال تا خداوند شر آنها را از تو دفع فرمايد چنانچه ميفرمايد: إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ سورة الغافر الآية 56».

[6] تفسير نور الثقلين ، جلد 2 ، صفحه 111.

[7] روح المعاني 24/ 125

[8] سورة الغافر الآية ٥٨..

[9] تفسير القمي، ج 1، ص: 254